سنة أولى ثورة

أدورنو في البداية، لا يمكن تحديداً قياس أثر هذا النوع من الموسيقى على الوعي الجمعي. فإما ستعتبر موجة تنتهي بزوال أسباب وجودها، وإما تخضع لغربلة مع الوقت لتجذيرها. ولا يبدو الاحتمال الثاني مرجّحاً حتى هذه اللحظة.

ادب الثورة

وصاية الآباء لم تنته تماماً

القاهرة ـ **محمد شعير**

هل هناك شاعر للثورة المصريّة؟ يمكن استبدال كلمة شاعر بكلمات أخرى مثل كاتب أو مؤرخ، أو قاصّ... الإجابة عن السؤال سهلة بالتأكيد، لكنّها ليست بالبساطة المتوقّعة. الثورة ما زالت مستمرّة، وتحتاج الأشكال الأدبيّة إلى وقت أطول لاستيعابها.

كلّ كتابة ثورية بالأساس حتّى في زمن اللاثورة. لأنّ الكتابة الجادة، في مكان آخر يبتعد عن التأثير والتأثّر. لم تعد الكتابة تنصت إلى المجتمع، بل إلى أسئلتها الخاصّة. وكلّما ابتعدت الكتابة عن المجتمع، كانت أقلّ إرشاداً ووعظاً.

في أحيان كثيرة، عندما نقرأ أدباً سبق حدثاً ما، نلقي بظلال الحدث على الكتابة ذاتها. وعندما تقع الهزيمة، نحكي القصائد والروايات التي استشعرت الهزيمة. وفي حالة الثورة المصريّة، سيجد نقاد كثر ما يبرهن أنّ الكتابة السابقة للثورة، كانت أشبه بالنبوءة. في الحقيقة، كانت تلك الكتابات حبلى بالغضب، كأنّها تنتظر انفجاراً كبيراً. سنجد ذلك البطل الإشكالي المحبط في رواية عمرو عاشور البديعة «دار الغواية». وسنجد اللغة العامية التي تجمع التراث والسخرية في «الطغرى» ليوسف رخا. وسنجد تلك النبرة الساخرة من السلطة الأبوية (سواء تمثلت في أب فعلي، أو مدير، أو رئيس...) في روايات عديدة. سرديّات الإنترنت، وتحديداً المدوّنات، كانت الأكثر توقعاً للصدام، وهي كتابات من دون ماكياج ولا كوابح، تحوّلت إلى فعل يحضّ على الثورة.

خلال الأيام الأولى للثورة في الميدان، كانت مساحات الارتجال كبيرة. كلّ متظاهر يختار شعاره، ولافتته، وقصيدته، وأغنيته. كان الوضع مختلفاً عن تظاهرات تأييد السلطة السابقة، بشعاراتها المعلّبة. مساحة الارتجال داخل التحرير، أتاحت تجاوراً بين كلّ الأجيال: كعكة أمل دنقل الحجرية، وصورة صلاح جاهين، وتلاميذ أحمد فؤاد نجم الذين «عادوا للجدّ تاني». كان صوت أم كلثوم يصدح «أنا الشعب»، وشادية تردّد «يا حبيبتي يا مصر»، وعبد الوهاب «ثوّار لآخر مدى». قالت رسالة الميدان إنّه لا جمال قديماً أو جديداً، بل حساسية يمكن أن تعبر عن المشهد أو لا تعبّر عنه. هل نصدح بأغنية جاهين أم بقصيدة هشام الجخ؟ في استطلاع للرأي، سمّي الجخ، وعمرو قطامش شاعري الثورة، وهما من جيل شباب الثورة، لكن هل يمكن تغييب صوت عبد الرحمن الأبنودي الذي استعار حساسيته القديمة في «المشروع والممنوع» أو «الموت على الإسفلت»؟ شعراء أمثال أحمد عبد المعطي حجازي، عادوا إلى الكتابة بعد توقّف لأكثر من ربع قرن. كان يمكن عودته أن تكون حدثاً استثنائياً، لكنّ الثورة كانت قد تجاوزته، كما بدا ديوانه «طلل الوقت». الأمر نفسه ينطبق على حلمي سالم في ديوانه «ارفع رأسك عالية أنت المصري»، وحسن طالب في «إنجيل الثورة وقرآنها». عناوين الدواوين الثلاثة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) نفسها، تشي ببقايا تلك الوصاية الأبويّة. كتابات أخرى تجاوزت الحالة الثورية، وتأملت نفسها، كما في كتاب الراحل إبراهيم أصلان غير المنشور «حكايات صغيرة عن حادث كبير». العمل تأمّلات مبدع لا يدّعي الإحاطة بكل شيء، ولا يقدّم وصايةً على أحد. ظهر نوع آخر من الكتابة، تناول يوميّات الثورة، وأبرز نموذجين عنه «أيام التحرير» لإبراهيم عبد المجيد، و«يوميات ميدان التحرير» لأحمد زغلول الشيطي. وأهمية هذه الكتابات توثيقية، تجعل الثورة أشبه بالفسيفساء، يستكمل كلّ من شارك فيها جزءاً من حكايتها. نردد دوماً أنّ نجيب محفوظ هو ابن «ثورة 19» البار، رغم أنّ عمره حينها لم يتجاوز الثماني سنوات، لكنّ تأثير الثورة في الفنّ والأدب يحتاج إلى سنوات ليظهر، وقد انعكس حينها انعكاساً فورياً على أعمال سيد درويش الموسيقيّة، وشغل محمود مختار في النحت، لكنّه انتظر أكثر من عقدين ليظهر في أدب صاحب «قصر الشوق». لم تقم ثورة «25 يناير» ضدّ مبارك ورجاله فقط، بل أيضاً ضدّ طريقة تفكير قديمة، كان فيها المثقف وصياً على الشارع. هي ثورة على زمن قديم، من أجل خيال جديد، ولغة جديدة... من يستطيع أن يقف في وجه الزمن؟

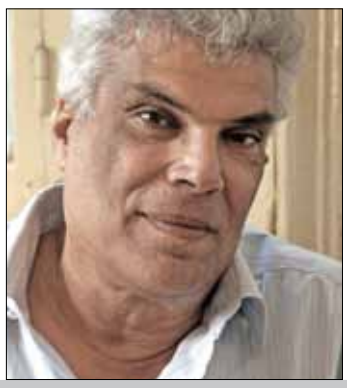

زلزال في القلوب

القاهرة ـ **محمد خير**

بينما كانوا معتصمين في ميدان التحرير انتظاراً لرحيل مبارك، كان القلق الأكبر لثوّار يناير أن يتعب الناس أو أن يملّوا فيفرغ الميدان. كم بدت آنذاك الساعات طويلة بين خطاب مبارك الأول في 28 ك2 (يناير)، ورحيله في 11 شباط (فبراير). الآن، بينما تتحرك عقارب الأيام لتكمل دورتها الأولى بعد الثورة، يندهش الثوار من أنفسهم كيف صمدوا 12 شهراً كاملاً. لا بل، كيف اختلفت تلك الأشهر عن ميدان احتفالات الغناء والهتاف والتنكيت خلال الأيام الـ 18 التي هزّت العالم. جرّب الثوار وواجهوا أنواعاً من العنف والانتهاك لم تعرفها الثورة نفسها. كانوا يفخرون بصمود 16 ساعة في وجه «موقعة الجمل» قبل خلع الفرعون، فإذا بهم يصمدون خمسة أيام كاملة في «محمد محمود»، ثم أسبوعاً في مجلس الوزراء. وإذا بأيام الانفلات الأمني وقت الثورة تطول لتصبح عاماً من التكاسل الأمني والترويع المتعمد. لكن الأكثر إدهاشاً لم يأت بعد. الاحتفال اليوم ليس احتفالاً بصمود السنة الكاملة، بل استعداد لاستكمال ثورة لم يفتّ في عضدها المسار الأمني ولا أغراها المسار الانتخابي. كان المعتصمون يغادرون الاعتصام بالدور ليدلوا بأصواتهم في الصناديق ويعودوا. لم يعرف التاريخ ربما هذا الكم المتكرر من الاعتداءات على اعتصام في ميدان واحد، لكن الخيمات الملونة لا تزال صامدة بأعلامها هناك. في قلب الميدان، تقول «الثورة مستمرة». و«الثورة مستمرة» هو أيضاً عنوان قائمة انتخابية ثورية لم تحرز من مقاعد البرلمان سوى عشرة، فضلاً عن ثوريين آخرين في قوائم أخرى أحرزوا عدداً مقارباً. إنّهم «الخمسة في المئة» ذاتها التي تشكل رأس حربة عبّرت عن نفسها في الصندوق، كما تعبّر عن نفسها في الشارع، وإن بدا الرقم هامشياً في البرلمان، فإنّ أنصاره في الشارع هم كل شيء لأنهم الفعل والمبادرة والصدام والصمود والخيال. والبرلمان بلا شارع متحفز ومجازف ليس سوى جدران وبروتوكولات رسمية وحرس على البوابات. والثورة قبل أن تطيح الفرعون ووريثه، أطاحت الخوف و«ثقافته» من نفوس أجيال كاملة وشبان صغار ومراهقين يشكلون معظم الثمانين مليوناً. أجيال نشطة، ابنة عصرها لن يصمد أمامها عواجيز سلطة يتوقون إلى معاش هادئ أو خروج آمن، وإلا فالمواجهة غير المتكافئة مع المستقبل. أبناء الغد يهتفون ويرقصون في الشارع وجنرالات الماضي يعانون الأزمات الصحية.

هي ثورة لا تنتهي، ولذلك فإنها فضّاحة. استدرجت الجميع طوال عام من المواجهات للإفصاح عن مواقفهم الحقيقية من الثورة أو من ثوارها أو أحلامها، كأنها كانت تسعى طوال السنة إلى إثبات أنه لا يصح سوى الصحيح وأنّ الديموقراطية لا يمكن أن تلتقط الصور إلى جوار الدبابة، وأن حرية العسكر لا يمكن إلا أن تكون محاطة بالأسوار والأسلاك الشائكة، كما هي حال الميادين اليوم. الثورة فعل في التاريخ والجغرافيا، لكنها قبل ذلك زلزال في القلوب، ولهذا فإنها ـ الثورة ـ مثل موجة عارمة على الشاطئ وأعداؤها يحاولون منعها بأصابعهم.

بصمات

■ تستعيد أعمال سيد درويش والشيخ إمام، بنَفَس معاصر، تمزجها بالروك والإلكترونيك. أعمالها «إصلاحات»، و«وطن العك»، تحوّلت إلى أناشيد خاصّة للثورة للمصريّة، وحوّلت **مريم صالح** إلى ناطقة باسم جيل «25 يناير». غنّت من تراث الشيخ إمام بتوزيعات جديدة على إيقاعات الروك

كما في نسختها من «نيكسون بابا»، و«فاليري جيسكار ديستان». المطربة الشابّة واحدة من أبرز وجوه المشهد الموسيقيّ المصري المعاصر، المحمّل بهواجس وأحلام الثورة والتغيير ورفض الفساد.

■ تضامناً مع المدوّن علاء عبد الفتاح المعتقل في سجون العسكر، أعلن **محمد هاشم** إضرابه عن الطعام في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي. صاحب «دار ميريت» فتح داره للكتب الجريئة والممنوعة قبل الثورة، وخلال الانتفاضة، تحوّلت مكاتبها المحاذية لميدان التحرير إلى مقرّ للمتظاهرين، يحتمون في

بطش شرطة النظام السابق. مواقفه السياسية الواضحة، جعلته يحصد جائزة «هيرمان كيستن»، الممنوحة سنوياً من «نادي القلم الدولي» (PEN)، لكتّاب وناشرين يتصدون للاضطهاد. وقد منحت الجائزة لهاشم عن عام 2011، بوصفه «ناشراً صنع عالماً فكرياً، وجدت فيه حركة التجديد العربية تربة ثقافية خصبة».

■ كتب **علاء الأسواني** مواقف ناقدة لنظام مبارك على صفحات الجرائد المصريّة منذ سنوات. كان عضواً فاعلاً في حركة «كفاية» منذ انطلاقتها عام 2004. قبل الثورة، سأل «لماذا لا يثور المصريّون؟» في كتاب صدر عام 2010 عن «دار الشروق». وخلال ثورة «25 يناير»، تحوّل صاحب «عمارة

يعقوبيان» إلى أحد أشهر الأدباء الناطقين باسم الثورة، وبقي حاضراً في ميدان التحرير، داعماً لمطالب الشباب. بعد مرور عام على انطلاق شرارة الثورة الأولى، يصدر الأسواني عن «دار الشروق» أيضاً كتاباً بعنوان «هل أخطأت الثورة المصرية؟». العمل مجموعة مقالات نشرها الأسواني خلال العالم الماضي.